الأدب الإغريقي القديم

يتألف الإغريق القدامى من مجموعات عرقية عدّة، وفدت على شكل موجات واستقرت في اليونان وعلى ساحل آسيا الصغرى، وفي جزر عديدة من بحر إيجه بما فيها جزيرة كريت وفي صقلية وجنوبي ايطاليا (وعرفت مجتمعة باسم بلاد الإغريق الكبرى). وقد وجدت حوالي عام 1000 ق. م ثلاث مجموعات تتكلم كل منها لهجتها الإغريقية الخاصة بها: إذ استقر الدوريون جنوبا في اسبارطة مدينتهم الرئيسية، كما استقر الأيوليون في أواسط اليونان وشمالها، أما الأيونيون فاستوطنوا أتيكا، وهي المنطقة المحيطة بأثينا وجزر أواسط إيجه.

يؤلف الأدب اليوناني تاريخا مستمرا يمتد من الألف الأول قبل الميلاد وحتى اليوم الراهن وفيه نجد معظم الأشكال الأدبية المعترف بها حاليا، كالملحمة والدراما والشعر الغنائي والأنماط المختلفة من الأعمال النثرية. ولم يكن مؤلفوها من الإغريق يعيشون في البداية في اليونان المتعارف عليها حاليا فحسب، بل ويقطنون الأصقاع المجاورة لها والمذكورة آنفا. ثم اتسعت رقعة الأدب الإغريقي إثر فتوحات الإسكندر الأكبر عندما أصبحت الإغريقية اللغة العامة المشتركة في منطقة شرقي البحر المتوسط، وفي الأمبراطورية البيزنطية من بعد، ونهض بالكتابة من لم تكن الإغريقية لغتهم الأم. وانتقل المركز الثقافي للعالم الناطق بالإغريقية تدريجيا وعلى مر القرون من بلد إلى آخر. إذ سيطرت – بادئ ذي بدء– مدن المنطقة الساحلية من آسيا الصغرى حتى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم غدت أثينا المركز في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، لينتقل النشاط الأدبي الإغريقي بعد ذلك إلى الإسكندرية، وبقي فيها إلى أن ضمت المنطقة بأسرها إلى الإمبراطورية الرومانية.

مراحل تاريخ الأدب اليوناني

يقسم تاريخ الأدب اليوناني القديم إلى أربع مراحل، وهي:

1– مرحلة ما قبل الكلاسيكية (حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد) أو مرحلة البدء: وهي فترة تفسخ المجتمع البدائي القبلي (منذ نهاية الألف الثاني حتى بداية الألف الأول قبل الميلاد) وفيها ساد الفن الشعبي الشفهي سيادة مطلقة، وقصدوا من شعرهم في البداية الغناء والإنشاد، وتدور موضوعاته حول الأساطير.

تنتمي ملحمتا هوميروس، الإلياذة والأوديسة إلى هذه المرحلة من الأدب، حيث أسستا معظم التقاليد والمصطلحات الأوروبية المتعلقة بالملحمة الشعرية. ولربما كان شعر هسيود (حوالي 700 ق. م) التعليمي قد نظم في فترة تلت ملحمتي هوميروس، ورغم أنه يختلف عنهما موضوعا ومعالجة إلا أنه يعد استمرارا للتقاليد الملحمية.

وتعود الأنماط المتنوعة للشعر الغنائي الإغريقي بجذورها إلى فترة ما قبل الكلاسيكية، وكان أرخيلوخس (Archilochus) من مواطني باروس (Paros) الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد، وهو أوّل شاعر رثائي يتناوب في قصيدته البيت الملحمي والبيت الأقصر فضلا عن صيغ الشعر الغنائي الذاتي، وقد احتل شعره مقاما رفيعا بيد أنه لم يصل إلينا من نتاجه سوى مقطوعات وقصائد غير كاملة. وفي أوائل القرن السادس نهض شاعران ينظمان باللهجة الأيونية لمدينة لسبوس (Lesbos) هما الكيوس (Alcaeus) وصافو (Sappho) ويتسم شعرهما بغنائية خاصة...

وأصل المأساة والملهاة هو اليونان، وقد أصبحت المأساة جزءا من احتفال مدينة أثينة بالعيد السنوي لديونيسوس حوالي 534 ق. م. وكذلك الحال بالنسبة للملهاة التي نشأت جزئيا في اليونان الدورية، وتطورت في أتيكة، وكلتاهما مرتبطتان بعبادة ديونيسوس (Dionyus) إله الخصب.

وقد كانت مجموعات القوانين أول شكل من أشكال النثر المكتوب، وظهرت أوّل ما ظهرت في نهاية القرن السابع قبل الميلاد ، عندما أخذ الإلمام بالكتابة يصبح أكثر انتشارا. ويعتبر فريسيديس (Pherecydes) من سيروس (Syros) حوالي 500 ق. م أول ناثر، وقد كتب عن بداية الكون. إلا أن أعرق مؤلف كبير هو هيكاتيوس (Hecataeus) من ميلتيوس (Miletus)الذي تصدى للكتابة عن الماضي الأسطوري وجغرافية البحر المتوسط والأراضي المحيطة به. ويعزى إلى ايسوب (Aesop) الشخصية شبه الأسطورية وشبه التاريخية من جيل منتصف القرن السادس ق. م كتابة خرافات الحيوان التعليمية التي نسخها كتاب أتوا من بعده.

2- مرحلة الكلاسيكية: وتبدأ تقريبا منذ القرن التاسع ق. م وتنتهي في أواخر القرن الرابع ق. م، وهي فترة تكون وازدهار الدول. ويعد أسخيلوس (Aeschylus) أوّل من ألف المأساة الحقيقية التي بلغت الأوج على أيدي سوفكليس (Sophocles) ويوربيدس (Euripides) في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد. وتمثل الأورستية (Oresteia) ثلاثية أسخيلوس الوحيدة التي وصلتنا كاملة في

مسرحياتها الثلاث، المواضيع الرفيعة للمأساة الأسخيلية... أما مأساة سوفكليس فتعد خطوة متقدمة بالنسبة للتعقيد المسرحي والواقعية المسرحية، بينما ظلت متزمتة في معالجتها للمسائل الدينية والأخلاقية. بينما عالج يوربيديس، الذي هو أصغر المؤلفين التراجيديين الثلاثة الكبار سنا، موضوعاته على صعيد الشك المستنير، وبذلك ألقى ظلالا من الشك على الصورة التقليدية للآلهة. ورافق تغير هذه الرؤية تطور مماثل في عدد الممثلين، إذ ارتفع عددهم إلى ثلاثة، وأصبح كل منهم قادرا على القيام بعدة أدوار.

وتعتبر مؤلفات أفلاطون وأرسطو العائدة إلى القرن الرابع قبل الميلاد أهم ما أنتجته الثقافة الإغريقية في التاريخ الفكري الغربي، فقد شغلتهما الأخلاقيات والميتافيزيقيات السياسية أيضا التي اعتبراها أرفع دراسة للإنسان. واتسع مدى نشاط أرسطو الفكري ليشمل الفيزياء والتاريخ الطبيعي وعلم النفس والنقد الأدبي. وقد أرسى هذان الفيلسوفان قاعدة الفلسفة الغربية، ويمكن القول أن الاثنين معا حددا لأجيال تلت مسار تطور الفكر الأوروبي.

وكان هذا العصر ذهبيا بالنسبة للبلاغة والخطابة، وكان رائدهما كوراكس (Corax) في القرن الخامس قبل الميلاد، وتشتهر خطب ديموستين (Demosthenes)، وهو أحد سياسي أثينة في القرن الرابع ق. م، بقوتها وعنفها. وقد تطورت في هذه الفترة ثلاثة أجناس متتالية: الأدب الملحمي والأدب الغنائي، والأدب الدرامي...

3- المرحلة الهيلينية: وهي زمن سيادة الممالك الهيلينية الكبيرة ما بين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد، وقد تميّزت هذه الفترة بضعف كبير في قدرات الشعب الإبداعية وبسيطرة الأشكال المصطنعة في الفن.

4- المرحلة الإمبراطورية أو المرحلة الرومانية: وهي فترة سيطرة روما (ما بين القرنين الأول والخامس بعد الميلاد) ونهاية المجتمع القديم مع الانتقال السريع نحو النظام الإقطاعي. وقد تميّزت هذه الفترة بموت التقاليد القديمة ونشوء تقاليد مسيحية – بيزنطية جديدة. والحادثة ذات الأهمية الكبرى في هذه الفترة التي أثرت في تطوير الاتجاهات الجديدة تجلت بتأسيس المتحف، أو مقام عرائس الفن، مع مكتبته الضخمة في أثينا.